﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨﴾ [غافر: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

التَّخليةُ طريقُ التَّحلية

لمّا طلب الملائكةُ مِن الله تعالى إزالةَ العذابِ عن المؤمنين، فقال تعالى على لسانِهم: ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: 7]، وكانت النَّجاةُ من العذاب لا تستلزم الثَّواب؛ قالوا مكرِّرين للنِّداء زيادةً في الرِّقَّة في طلب الامتنان لإدخالِهم مكان النَّعيم: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾[1]، فهو زيادةٌ في الدُّعاء؛ لاستجماع أسباب النَّعيم، بذكر التَّحلية بعد التَّخلية.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَدۡنٍ﴾: أصلُ (عدن) يدُلُّ على الإقامة[2]، وأصلُهُ مِن عدنِ الإبلِ[3]، وعَدَنَ الرَّجلُ بالمَكانِ يَعدِن ويعدُن عَدْنًا وعُدونًا، فَهوَ عادنٌ؛ إذا أقامَ بِهِ، ومِنْه اشتقاقُ المَعْدِن، وهوَ المَكان الَّذي يثبت فيهِ النّاس، ولا يتحوَّلون عَنهُ شتاءً ولا صيفًا[4]، وجنَّة عَدْنٍ، أي: دار مُقام[5]، والمقصودُ بالعَدْنِ في الآيةِ: الإقامةُ، أي: الخُلودُ[6].

2) ﴿صَلَحَ﴾: أصل (صلح) يدُلُّ على خِلافِ الفسادِ، يُقالُ: صَلُحَ الشَّيءُ يَصْلُحُ صلاحًا[7]، ويُقالُ: صَلَحَ بعد أنْ كان فاسدًا، ويُقالُ: صَلَحَ بمعنى وُجِدَ مِن أوَّل وهلةٍ صالحًا، فهو موضوعٌ للقَدْرِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 14 - 15.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عدن).
(3) الخليل، العين: (عدن).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (عدن).
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة: (عدن).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 92.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صلح).

المُشتركِ[1]، والصَّلاحُ: استقامةُ الأعمالِ وطهارةُ النَّفْسِ، والصّالح في نَفْسه، والمُصلح في أعماله وأُموره[2]، والمقصودُ بالصَّلاح في الآية: تغييرُ الحالِ إلى الاستِقامة.

3) ﴿ءَابَآئِهِمْ﴾: أصلُ (أبو) يدُلُّ على التَّربية والغَذْوِ، أبَوْتُ الشَّيء آبوهُ أبْوًا؛ إذا غذوتُه، وبذلك سُمّيَ الأبُ أبًا[3]، والنِّسبةُ إليه أبَويٌّ، ويُقالُ: ما لَهُ أبٌ يَأْبوه، أي: يَغْذوه، ويُرَبّيه، وبَيْني وبَيْنَ فُلانٍ أُبُوَّةٌ، والأُبوَّة أيضًا: الآباءُ، وتصغيرُ الآباءِ: أُبَيّونَ وأُبَيّاءُ[4]، والأبُ: يُطلَقُ على مُلازِمٍ ما أُضيفَ إليه، كأبي الضّيفانِ، وأبي هُريرةَ، وأبي البركات[5].

4) ﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ﴾: أصلُ (زوج) يدُلُّ على مُقارَنةِ شيءٍ لشيءٍ[6]، فالزَّوج كلُّ شيءٍ ثانٍ مع شيءٍ آخَرَ، بينهما تقارنٌ في حالٍ ما، وسُمّيت الأنثى القرينة للرَّجُل بنكاحٍ زوجًا؛ لأنَّها اقترنت به، وصيَّرته ثانيًا، ويُسمَّى الرَّجُلُ زوجًا لها لذلك بلا فَرْقٍ، فمِن ثَمَّ لا يُقالُ للمرأةِ: زوجة بهاءِ تَأْنيثٍ؛ لأنَّهُ اسْم، وليسَ بوصف[7]، والأزواجُ في الآية: جمعُ زوجٍ، المُراد بها: حلائلُهم.

5) ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: أصلُ (ذرر) يدُلُّ على لطافةٍ وانتشارٍ[8]، ومصدرُهُ: ذَرَرْتُ، وهو أخذُك الشَّيءَ بأطراف أصابعك تَذُرُّهُ ذَرَّ المِلْح المسحوقِ على الطَّعام[9]، والذُّرّيَّةُ: الخَلْقُ والنَّسْلُ، مأخوذةٌ من الذَّرْءِ، فتقول: ذَرأ اللّهُ الخَلْقَ، أي: خلقَهُم، وذُرّيَّةُ الرَّجُلِ: ولَدُهُ[10]، وقيل: هو مأخوذٌ مِن الذَّرِّ، وهو: النَّشْرُ، فيُقال: ذَرَّ الشَّيءَ، يَذُرُّهُ، أيْ: نَشَرَهُ، أو مِنْ صِغارِ النَّمْلِ؛ لأنَّ اللّهَ أخرَجَ الخَلْقَ من صُلْبِ آدمَ كالذَّرِّ[11]، والجمعُ: الذَّراري والذُّرّيّاتُ، والمقصود بالذُّرّيَّة في الآية: نسلُ الإنسان من ذُكورٍ وإناثٍ.

6) ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: أصل (عزَّ) يدلُّ على القوَّةِ والشِّدَّةِ والغَلَبَةِ، خِلاف الذُلِّ[12]، يقال: عَزَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 285.
(2) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (صلح).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أبو).
(4) ابن سيده، المحكم، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (أبو - أبب).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 601.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (زوج).
(7) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 428.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذرَّ).
(9) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (ذرر).
(10) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذرَّ).
(11) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذرَّ - ذرر).
(12) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (دون).

يَعَزُّ بالفتح للمُضارع؛ إذا اشتَدَّ، وقَوِيَ، وبالكسر للمُضارع؛ إذا قَوِيَ، وامتَنَع، وبالضَّمِّ؛ إذا غَلَب، وقَهَر[1]، والعَزيز: من صِفات اللّه تعالى وأسمائِه الحُسنى[2]، والمُرادُ بالعزيز في الآيةِ: القويُّ الَّذي لا يُغلب، ولا ينال بضيم مَن توكَّل عليه[3].

7) ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: أصلُ (حكم) يدلُّ على المَنْعِ، وأوَّلُ ذلك الحُكْمُ، وهو المَنْعُ مِنَ الظُّلْم، وكُلُّ شَيْءٍ مَنَعْتَهُ مِن الفَساد؛ فقد حَكَمْتَهُ، وأحكَمْتَهُ[4]، والإحكامُ: الحُسْنُ والإتقانُ، والحَكيمُ: المُتْقِنُ للأُمورِ[5]، والحِكمة من اللّه تعالى: العلمُ بالأشياء وإيجادُها على غاية الإحكام والإتقان، ومن الإنسان: معرفةُ الموجودات وفِعل الخيرات[6]، والمقصودُ بالحكيم في الآية: المُدَبِّرُ عن حِكمةٍ وإتقان.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذِكرُ دعاءِ الملائكة للمؤمنين بُشرى وإكرامٌ

تُتابعُ الآية ما جاء في الآية السّابقة من ذِكر طلبِ الملائكة من اللّهِ تعالى المَغفرةَ للَّذين آمَنوا قائِلينَ: ربَّنا وأدخلهم الجنّات الَّتي وعدتهم إيّاها على ألسنةِ رُسلك، وأدخِلْ جنّاتِ عَدْنٍ مَنْ صَلَح في الدُّنيا مِن آبائِهم وأزواجِهم وذُرّيّاتِهم، فآمَنَ وعَمِلَ الصّالحاتِ؛ لتقرَّ بهم أعينُهم، فإنَّ الاجتماع بالأهل والعشيرة في موضع السُّرور يكون أكملَ للبهجةِ وأتمَّ للأُنْس، إنَّك أنت العزيزُ الَّذي لا يُغالَبُ، ولا يُرامُ جَنابُه، فأنت ذو القَدْرِ والسّيادةِ، الغالبُ القاهرُ لكُلِّ شَيءٍ، المُمتَنِعُ عليه كُلُّ عَيبٍ ونَقصٍ، الحَكيمُ في شَرْعِك وقَدَرِك وتدبيرِ خَلْقِك، فتَضَعُ كلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه اللّائِقِ به[7].

(1) النحاس، معاني القرآن: 1/ 379.
(2) الراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (عز).
(3) المراغي، تفسير القرآن: 1/ 217.
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حكم).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (حكم).
(6) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (حكم).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 286، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 296، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 732.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ توسيط الاعتراض بالنِّداء:

المبالغةُ في الطَّلب بقصدِ التَّضرُّع والالتجاءِ

النِّداء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ اعتراضٌ جاء متوسِّطًا بين دعاءين؛ ليفيدَ الاعتراضُ أنَّ الدُّعاء الثّاني غيرُ الدُّعاء الأوَّل، وأنَّ إجابةَ الدُّعاء الثّاني إحسانٌ آخرُ غير الإحسان الأوَّل؛ لأنَّهُ جاء على سبيل الارتقاء من وقايةِ المؤمنين مِنَ العذاب إلى إيصال الثَّواب إليهم في دار النَّعيم[1]؛ تكريمًا لهم وتشريفًا، ففي إعادة النِّداء بطريق الاعتراضِ مبالغة في التَّضرُّع والاستعطاف، وإيذان بتعظيم منَّة الله تعالى وتكثُّرها على المؤمنين.

نكتةُ حذفِ حرف النِّداء:

حُذِفَ حرفُ النِّداء في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾؛ إشعارًا بقرب المدعوِّ مِنَ الدّاعي، فاللهُ تعالى ليس ببعيد عمَّن يدعوه، بل هو قريبٌ يُجيب دعوةَ الدّاعي؛ إذا دعاه.

مناسبةُ النِّداء بعنوانِ الرُّبوبيَّة:

إدخالُ المؤمنين الجنَّةَ من آثار إحسانِ الله وفضلِه عليهم

لمّا كانت وقايةُ المؤمنين من عذاب الجحيم وإدخالُهم الجنَّة من إحسانِهِ تعالى وفضله؛ ناسب التَّعبير عن ذلك بعنوان الرُّبوبيَّة في قولِه تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ على معنى أنَّه دعاءٌ بالمحسِن المربّي المتفضِّل، فأفادَ أنَّ إدخالَ المؤمنين جنَّةَ عدنٍ مِن آثار تربيةِ الله وإحسانِه وفضلِه عليهم، كما أنَّ الدُّعاءَ بقولِ الملائكة: ﴿رَبَّنَا﴾ – وأكثر ما يكون الدُّعاء بذكر الرَّبِّ – مناسبٌ لمقام الاستعطاف؛ فإنَّ الملائكة ليس لهم إلّا التَّضرُّع وإظهار التَّذلُّل، وليفيد أنَّ قبولَ الدُّعاء مِن آثار التَّربية.

نكتةُ إضافة لفظِ الرُّبوبيَّة للضَّمير:

أُضيف لفظُ الرُّبوبيَّة إلى الضَّمير في قولِه: ﴿رَبَّنَا﴾؛ لبيانِ مزيد الاستعطاف والتَّضرُّع، وحرصهم على إدخالِ المؤمنين الجنَّة.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 92.

فائدةُ عطفِ الدُّعاء بدخولِ الجنَّة على الوقاية من النّار:

تكميلُ الدُّعاء الجامع بين دفع العذاب وإيصال الثَّواب

لمّا طلب الملائكةُ من الله تعالى إزالةَ العذاب عن المؤمنين في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: 7]، جاء قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ بطريق الوصلِ بالواوِ؛ ليكونَ الدُّعاء جامعًا بين دفعِ العذاب عنهم وإيصال الثَّواب إليهم، كما أنَّ الجملتين تشتركان في كونِهما إنشائيَّتين لمجيئِهما في صورة الأمرِ على معنى الدُّعاء، ولمّا كان العَطفُ يَقتضي ثُبوتَ المَعطوفِ عليه وكَونَه أصلًا؛ أفاد أنَّه إذا تحقَّقت مغفرةُ الله؛ تحقَّق ما بعدَها بفضلٍ من الله وإحسانه.

كما أفادَ العطفُ معنى التَّأكيد والتَّقرير بالتَّصريح بما علِمَ ضمنًا من الدُّعاء بوقايتِهم من عذابِ الجحيم، فذِكرُ الجنَّة تنشيطٌ للمؤمنين وإدخال السُّرور في قلوبِهم، وللدَّلالة على أنَّ دخول الجنَّة ممّا يتنافس فيه المتنافسون، فاقتضى التَّصريح به[1]، وليكون تمهيدًا لذكر اجتماعِهم بمن صلح مِن آبائِهم وأزواجِهم وذرّيّاتِهم.

نكتةُ إسنادِ فعل الإدخال لضمير الجلالةِ:

ما كان المؤمنون ليدخلوا الجنَّة بتوبتِهم لولا إحسانُ الله إليهم

لمّا دعا الملائكةُ بالمغفرة للَّذين تابوا، وترقَّوا في الدُّعاء، فقالوا: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر:7]؛ ترقّوا بعد ذلك، فقالوا: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، فطلبوا إدخالَهم الجنَّة، بإسناد الفعلِ لضمير الجلالةِ، وهو ما دلَّ على أنَّ دخولَ الجنَّةِ إنَّما كان بفضل الله تعالى ورحمته، فما كانوا ليدخلوها بالتَّوبةِ لولا أنَّ ربَّهم المحسِن إليهم هو الَّذي أدخلَهم.

غرضُ الطَّلب ودلالته:

أوثرَ الدُّعاء للمؤمنين بإدخالِهم جنّات عدنٍ في قولِه: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾ مع تحقُّقهم أنَّه تعالى وعدهم به، كما تَقدَّمَ في قولِه: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 21.

مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: 194]، من بابِ التَّأدُّبِ مع الله تعالى؛ لأنَّه لا يُسألُ عَمّا يَفعَلُ، ويحتمل أن يكونَ الطَّلب في ﴿وَأَدۡخِلۡهُمۡ﴾ على معنى: عَجِّلْ لَهُم بالدُّخولِ، كما يحتملُ أن يَكونَ ذَلِكَ تَمهيدًا لِقَولِهِم: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ﴾؛ فَإنَّ أولَئِكَ لَم يَكونوا مَوعودينَ بِهِ صَريحًا[1]، كما أنَّه يُفيد بيان حرص الملائكةِ على الدُّعاء للمؤمنين ليكونوا مِن أهل الجنَّة.

حرصُ الملائكةِ على دخولِ المؤمنين الجنَّة دليلُ حبِّهم لهم وشفقتهم عليهم

دلالةُ تعيينِ عود الضَّمير:

يعود الضَّميرُ (هُم) في قوله: ﴿وَأَدۡخِلۡهُمۡ﴾ إلى الاسم الموصول وصلتِه ﴿لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: 7]، والتَّقديرُ: وأدخل الَّذين تابوا، واتَّبعوا سبيلك جنّات عدن، ليفيد عود الضَّمير إلى الاسم الموصول الإيماءَ إلى أنَّ التَّوبةَ واتِّباع سبيل الله سببٌ في المغفرة والوقاية من عذابِ الجحيم، ودخولِ جنَّة ربِّ العالمين.

التَّوبةُ واتِّباع سبيل الله سببٌ في المغفرة ودخول الجنَّة

نكتةُ تعديةِ فعل الإدخال بنفسِه:

آثرَ النَّظمُ الكريم تعديةَ فعل ﴿وَأَدۡخِلۡهُمۡ﴾ بنفسِه لا بحرف الجرِّ (في)، فلم يقل: (وأدخلهم في جنّات عدنٍ)، فجاء قوله: ﴿جَنَّٰتِ﴾ مفعولًا به ثانيًا على التَّوسُّع، ومناسبةُ العدولِ عن أن يُقال: (أدخلهم في جنّات عدنٍ) إلى ﴿وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ الإشعارُ بأنَّ دخولَهم جنّات عدنٍ يكون فيها كلها، فهُم يُمتَّعون في مواضعَ متنوِّعةٍ فيها، وهذا فيه من مزيدِ الكرامةِ وعظيم الامتنان.

الجنَّةُ كلُّها يُمتَّع فيها المؤمنون

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة الجمع:

لمّا جاء قولُهُ: ﴿جَنَّٰتِ﴾ مفعولًا به على التَّوسُّع؛ لإفادة تنوُّع مواضعِ أهل الجنَّة فيها؛ ناسبَ أن يأتي لفظ ﴿جَنَّٰتِ﴾ بصيغة الجمعِ؛ ليُفيد أنَّ كلَّ موضعٍ هو جنَّة، كما أنَّه لمّا كان الدُّعاء بصيغة

كلُّ موضعٍ في الجنّات هو جنَّة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 92.

الجمع في قولِه: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾ وما قبلَهُ؛ أفاد تنوُّع مواضعِهم ومراتبِهم في جنّات عدنٍ، التي هي درجاتٌ عظيمة، فلكلِّ درجةٍ موضعٌ لأهلِها.

فائدةُ الإضافة:

أفادتِ الإضافةُ في قولِه تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ معنى الاختصاص، بمعنى: أنَّها جنّاتٌ مختصَّةٌ بالإقامة والاستقرارِ فيها.

براعةُ استعمال مفردة ﴿عَدْنٍ﴾:

لا يعلمُ بحقيقةِ جنّات عدنٍ إلّا مَن خلقها وشاهدها عيانًا

جاء استعمالُ مفردةِ ﴿عَدْنٍ﴾ الذي هو بمعنى الاستقرار والثَّبات؛ ليُفيد ثباتَ إقامتِهم في الجنّات، بمعنى أنَّ مَن يدخلها يقيمُ فيها ولا يتحوَّل عنها، فيفيد بلازمِهِ خلودُهم فيها، وأوثِرَت ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾؛ لأنَّها عوملت معاملةَ الاسم العلم، ولم ترِدْ في القرآن الكريم إلّا إخبارًا من الله تعالى عمّا أعدَّه للمؤمنين، أو على لسانِ الملائكة في الدُّعاءِ للمؤمنين، وذلك يدلُّ على أنَّ هذه الجنّاتِ ممّا لا يعلم حقيقةَ الخلود فيها على وجه اليقين إلّا مَن خلقها، وشاهدها، فالملائكةُ تدعو للمؤمنين بما شاهدوهُ من عظيم النَّعيم المُقيم.

نكتةُ استعمال الاسم الموصول:

دعاءُ الملائكة كان بناءً على وعدٍ معهودٍ مخصوص

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ الاسم الموصول: ﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ صفةً لقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، وذلك لإفادة الاختصاصِ المُشير إلى أنَّ سؤال الملائكة لم يكن متجاوزًا حدودَهم، بل أقاموه على وعد اللهِ تعالى، وهو وعدٌ معهودٌ لديهم، وفيه إيماءٌ إلى عظيم هذه الجنّات الَّتي وعد الله عبادَهُ المتَّقين، فهي الجنّات الَّتي وعد الرَّحمن عبادَه بالغيب، وللإيماء إلى سبب دعائِهم بإدخال اللهِ تعالى المؤمنين الجنَّة، أي: لأنَّك وعدتَهم بالجنَّة طلبنا منك إدخالَهم جنّات عدنٍ، ففيه إشارةٌ إلى إعلامِ الله تعالى بما وعدَهُ للمؤمنين وإشعارٌ بقربهم منه تعالى.

بلاغةُ فنِّ الإسجال:

ذِكـرُ الـوعـدِ إسـجـالًا بـغـرضِ تحقيق الاسـتـجـابـة إفضالًا

في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾ فنٌّ من فنونِ البديع، وهو الإسجال، حيث سجَّلَ الملائكة بذكرِ وعد الله تعالى المؤمنين دخولَ الجنَّة لتحقيق غرضِ الاستجابة، فهُم إنَّما يُسجِّلون ذلك لمزيد التَّقرُّب مِن الله تعالى، وتعليم المؤمنين كيف يكون الدُّعاء، وكيف يكون الالتجاء والتَّضرُّع، وأنَّ وعدَ الله تعالى، وهو الوعد المتحقِّق يلزم معه الالتجاء والدُّعاء، فإنَّ الوعدَ كان فضلًا ورحمةً، لا واجبًا ولزومًا، فيحسن مع ذلك حسن الدُّعاء، بذكر الوعد إسجالًا، لتحقيق الموعودِ إفضالًا، كما أنَّ في الإسجال بالوعد إيذانًا بأنَّ دخولَهم الجنَّة بمقتضى وعد الله تعالى، وليس بعملِهم وكسبِهم[1].

نكتةُ إسنادِ فعل الوعد لضميرِ الجلالة:

وعدُ الله تعالى ثابتٌ لا انفكاك له عن التَّحقُّقِ

جاءت جملةُ الصِّلة: ﴿وَعَدتَّهُمْ﴾ بصيغة الماضي مسندًا إلى ضمير الخطابِ العائد إلى الله تعالى؛ لإفادةِ أنَّ الوعدَ ثابتٌ، وهو مُبرَمٌ لا انفكاكَ لإبرامِه، وهذا هو الغرضُ الحقيقيُّ مِن الدُّعاءِ للمؤمنينَ، فبان بذلك تقريرُ هذا الغرضِ وتأكيدُه، وأنَّ الحقَّ سبحانَه سَيَفي به لعِبادِه المؤمنينَ في الآخِرةِ، كما وعَدَهم.

تعيينُ المعطوفِ عليه:

إذا تـآلـفـت المـعـاني؛ صـحَّ الـعـطـفُ عليها جميعًا

واو العطفِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾؛ لعطفِ الاسم الموصول مع صلتِه على الضَّمير (هم) مع ما تعلَّق به، والمعنى: (وأدخل من صلح منهم جنّات عدنٍ الَّتي وعدتَهم جميعًا)، ويحتمل أن يكون العطف على ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾، ونظيرُهُ قولُهُ تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: 23]، ويحتمل أن يكون على ﴿وَعَدتَّهُمْ﴾، والمعنى: ربَّنا وأدخلهم جنّات عدنٍ الَّتي

(1) ابن أبي الأصبع، تحرير التّحبير، ص: 574 - 575، والسيوطي، الإتقان: 4/ 65، ودرويش، إعراب القرآن: 2/ 148، 8/ 462.

وعدْتَهم ووعدتَ مَن صلح مِن آبائِهم[1]؛ لبيان عمومِ الوعدِ لهم ولمن صلح مِن آبائِهم وأزواجِهم وذرّيّاتِهم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: 21]؛ ليُفيد بلازمِه طلبَ إدخالِهم الجنَّة، والاحتمالان متآيلان في النَّظمِ وفي القرآنِ كلِّه.

دلالةُ العطف وفائدته:

المؤمنُ يعودُ خيرُه على أهلِه وأقاربِه المشتركين معه في الإيمان

أفاد عطف ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ أنَّهم سألوه أيضًا إدخالَ هؤلاءِ في ذلك الوعدِ[2]، ففيه بيانُ حرصِ الملائكة ورحمتهم بعبادِ اللّه تعالى، وهو ما يُعزِّز العلاقةَ بين المؤمنين والملائكة، ومن فوائد العطفِ الإشارةُ إلى أنَّهم متَّبَعون، وأنَّ مَن صلح مِن آبائِهم ومَن معهم تابعون لهم، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ المؤمن يعودُ خيرُه على أهلِه وأقاربِه، الَّذين يشتركون معه في أصل الإيمان، ولمّا كان الصَّلاحُ مستلزمًا الإيمانَ، وكان أصلُ دخولِ الجنَّة بالإيمانِ؛ كان المرادُ إدخالَهم معهم في الدَّرجة بمعنى رفعِهم ورقيِّهم في الجنّات؛ ليكونوا مَعَهم[3].

غرضُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول:

عُبِّرَ بالموصول وصلتِه ﴿وَمَن صَلَحَ﴾؛ للإيماء إلى وجه بناءِ الخبرِ، وهو أنَّ صلاحَ الآباء والأزواج والذّرّيات سببٌ لدخولِهم جَنَّةَ عدنٍ، وجاء الاسمُ الموصول بلفظ (مَنْ)؛ للدَّلالةِ على العمومِ.

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿صَلَحَ﴾:

الإيماءُ إلى ضرورة المسارعة في الصَّلاح بعد الفسادِ

جاء استعمالُ مفردة ﴿صَلَحَ﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ صلاحَ المؤمن لا ينفع غيره، وإن قرب منه، فلا ينفعُهُ حتّى يكونَ صالحًا في نفسِه، بمعنى أنَّ صلاحَ الوالد أو القريب لا يُجدي نفعًا في الآخرة ما لم يكن الإنسان نفسُهُ صالحًا[4]، وللإيماءِ إلى أنَّ تغيُّر حالِ الآباء

(1) النّحاس، إعراب القرآن: 2/ 223، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 368، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 239.

(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 9.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 21.

(4) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 6/ 333.

والأزواج والذُّرِّيَّة إلى الاستقامة والصَّلاح مع استمرارِهم عليها، هو طريقُ القَبول.

لفظُ الصَّلاح شرعًا يستلزم الإيمانَ

وجاء استعمالُ ﴿صَلَحَ﴾ دون (آمن)؛ للإشعار بأنَّ استحقاقَ الإلحاق بالرَّجل المؤمن أو المرأة المؤمنة في رفعِ الدَّرجة يوم القيامةِ يكون بالإيمان والعمل الصّالح في الدُّنيا، فإنَّ الصَّلاحَ يستلزمُ الإيمانَ، ولهذا عبَّر كثيرٌ مِنَ المفسِّرين عن الصَّلاح بالإيمان[1]، وبهذا يُجمَعُ بين قول مَن قال: إنَّ ﴿صَلَحَ﴾ بمعنى: صدَّق، وآمن، ووحَّد، ومَن قال: إنَّه بمعنى: صلح في عملِهِ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة الماضي:

الأنسابُ لا تنفع يومَ القيامة مِن غير أعمالٍ صالحةٍ

عبَّر بصيغة الماضي ﴿صَلَحَ﴾؛ لإفادة وقوعِ الصَّلاح منه وتحقُّقه، وإن كان قليلًا، أي: إنَّ اللّه تعالى يُلحِقُهُ بالمؤمن من أهل بيتِهِ، وإن لم يكن صلاحُهُ مثلَ صلاح مَنْ يلحقُ به في الجنَّة، أي: وإن لم يعمل مثل عملِهِ، ولذلك أطلق فعل ﴿صَلَحَ﴾ دونَ تقييدٍ؛ للتَّنبيهِ على عمومِ صلاحِهم في أنفسِهم ومع النّاس.

نوعُ ﴿مِنْ﴾ ودلالته:

﴿مِنْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ للتَّبعيض، فليس جميعُ الآباء والأزواج والذُّرّيات صالحين لدخول الجنَّة.

نكتةُ التَّغليب بلفظِ الأب:

التَّغليبُ في الأصل للأبِ وتغليب الوالديَّة في سياق الرَّحمة والبرِّ

المرادُ بقوله تعالى: ﴿ءَابَآئِهِمْ﴾ الآباء والأمَّهات، لكن جاء ذِكرُ الآباء على طريق تغليب المذكَّر على المؤنَّث بسبب تماثلِهم، فكأنَّه قال: ومَن صلح مِن آبائِهم وأمَّهاتِهم[3]، ونكتةُ التَّغليب بالأبويَّة لا الوالديَّة:

(1) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 356، والعسكري، الوجوه والنّظائر، ص: 283، وابن الجوزي، نزهة الأعين النّواظر، ص: 397.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 12/ 342، والسمعاني، تفسير السمعاني: 5/ 8، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 310.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 382.

هو مراعاةُ الأصل، فالأصلُ هو تغليب الأب، لكن إن كان السّياق سياقَ رحمةٍ وبرٍّ؛ فإنَّ الوالديَّة الملحوظ بها الأمُّ هي الَّتي تُغلَّب.

نكتةُ الإضافة ودلالتُها:

الانتسابُ مع صلاح العمل نافعٌ يوم القيامةِ

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ بمعنى اللّام؛ فدلَّ على الاختصاص، وفيه إشعارٌ بأنَّ تمامَ سرورِهم بأنْ يَجمَعَ اللّه تعالى بينهم وبين آبائهم ونسائهم وأولادهم.

دلالةُ ترتيبِ المعطوفات:

حظُّ برِّ الآباءِ ملحوظٌ عند الملائكة في دعائهم

التَّرتيبُ في قولِه تعالى: ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ جاء على التَّرتيب الطَّبيعي المعهود مِن واقع البشر، من حيثُ زمانُ الوجود والاجتماع، فإنَّ الآباءَ أسبَقُ عَلاقةً بالأبناء، ثمَّ الأزواجُ، ثمَّ الذُّرّيّاتُ[1]، والتَّرتيب يدلُّ على أنَّهم أوَّل ابتداء الطَّلب كان بإلحاقِ آبائهم بهم؛ مراعاةً لعاطفةِ المؤمنين مع آبائهم، ولمّا كان دعاءُ الملائكة مجابًا عند ربِّهم؛ أفادَ أنَّ الآباء أوَّلُ الأهلِ لحوقًا بالمؤمنين في الجنَّة، وهذا يدلُّ على أنَّ الملائكةَ بدعائهم قد لحظت ما للآباء من حقٍّ وحظوة، وقد يُقال: قُدِّمَ الآباءُ؛ لأنَّ الآباءَ أحَقُّ النّاسِ بالإجلالِ، وقدِّمَ الأزواجُ في اللَّفظِ على الذُّرّيَّةِ؛ لأنَّهم أشَدُّ إلصاقًا بالشَّخص[2].

علَّةُ فصلِ الجملة:

تعليلُ حكمةِ معاملةِ المحسن والمصلح

جاء قولُه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ مفصولًا عن السّابق؛ لبيان السَّبب والعلَّة لما قبلها[3]، فـ(إنَّ) في مثل هذا الموضعِ تغني غناء فاءِ السَّبَبيَّةِ، أي: "فَعِزَّتُكَ وحِكْمَتُكَ هُما اللَّتانِ جَرَّأتانا عَلى سُؤالِ ذَلِكَ مِنْ جَلالِكَ، فالعِزَّةُ تَقتَضي الاستِغناءَ عنِ الانتِفاعِ بالأشياءِ النَّفيسَةِ، فَلَمّا وعَدَ الصّالِحينَ الجَنَّةَ لَم يَكُن للّه

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/ 429، والبسيلي، النكت والتنبيهات: 2/ 279.
(2) الخطيب الشّربيني، السراج المنير: 3/ 471.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 268.

ما يَضِنُّهُ بِذَلِكَ، فَلا يَصدُرُ مِنهُ مَطْلٌ، والحِكْمَةُ تَقتَضي مُعامَلَةَ المُحْسِنِ بالإحْسانِ"[1]، ونكتةُ عدمِ مجيء الفاء الإشعارُ باستقلاليَّة الجملة؛ لتكونَ جملةً تذييليَّة تُفيد معنى العموم والكلّيَّة، ويُتمثَّل بها في الكلامِ.

بلاغةُ التَّذييلِ بالتَّأكيد:

تتابعتِ المؤكِّدات في جملة التَّذييل: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بمجيء (إنَّ) وضمير الفصل ﴿أَنتَ﴾، والتَّعبير بالجملة الاسميَّة، وفائدةُ تتابع المؤكِّدات تقريرُ هذه الحقيقةِ العظيمة، وهي إثباتُ الوصفين الجليلين لله تعالى وما يصدُر عنهما من واسع الرَّحمة وجليل الحكمة، وذلك للرَّدِّ على مَن يُنكر هذه الحقيقةَ الَّتي تؤول إلى خير المؤمنين في الآخرةِ.

إثباتُ الأوصاف الجليلة لله تعالى مِنَ الحقائق العظيمة

نوعُ القصرِ وبلاغتُه:

جاءت جملة: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بطريق القصر بضمير الفصل ﴿أَنتَ﴾[2]، الَّذي يفيدُ اختصاص الوصفين ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بالله تعالى، وتقرَّر القصرُ بمجيء المسند والمسند إليه معرفتَين؛ ليفيدَ تأكيدُ القصر وتحقيقه، وهو قصرٌ حقيقيٌّ إفراديٌّ، ليفيدَ أنَّ العزَّة المطلقة والحكمة المطلقة هما لله تعالى وحده، وأنَّه لا أحدَ غيرُ الله تعالى متَّصفٌ بهذين الوصفين الجليلين على الإطلاق، وللإشعارِ بأنَّ إدخالَ الجنَّة مختصٌّ بالله العزيز الحكيم، ففيه تعظيمٌ لشأنِ دخول الجنَّة.

لن يدخلَ أحدٌ الجنَّة إلّا بجلالِ صفاته وجمالِ كماله

نكتةُ اقترانِ الوصفين في الفاصلة:

ذُيِّل الكلامُ بذكر هذين الوصفين الجليلين: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ دون غيرِهما؛ لأنَّه لمّا كان الدُّعاء على معنى الطَّلب بإدخالِهم الجنَّة،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 93.

(2) البهاء السّبكي، عروس الأفراح: 1/ 226.

وكان العزيز بمعنى الَّذي لا يُغلَب، ولا يمتنع عليه مقدورٌ[1]؛ أفادَ أنَّه لا أحدَ قادرٌ على إدخالِهم الجنَّة إلّا اللّهُ العزيز الحكيم، كما أفادَ أنَّه لَو لَم يَكُن عَزيزًا، بَل كانَ بِحَيثُ يُغلَبُ، ويُمنَعُ؛ لَما صَحَّ وُقوعُ المَطلوبِ مِنهُ، وهو طلبُ إدخالِهم الجنَّة[2]، فظهر كمالُ الارتباط بالتَّذييل بهذين الوصفين الجليلَين.

العزيزُ الَّذي لا يُقهر هو الحكيم الَّذي يضع الأمورَ في نصابها

نكتةُ التَّقديم والتَّأخير بين الوصفين:

قدَّمَ النَّظمُ الكريم ذِكرَ ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ على وصفِ ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ للإشعار بأنَّ إدخالَ الجنَّة لا يكون إلّا مِن العزيز ذي الغلبَة والمنعَة، وأنَّ حصولَ هَذا المَطلوبُ هو عَلى وفْقِ الحِكْمَةِ والمَصْلَحَةِ، وأنَّه مع ملكِه وعزَّتِه لا يفعل شيئًا إلّا بداعي الحكمة، ومن مقتضى الحكمة الوفاءُ بالوعدِ[3].

من مقتضى الحكمة الوفاءُ بالوعدِ

معنى تعريف الوصفين:

(أل) الدّاخلة على الوصفين الجليلين: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ دالَّةٌ على معنى الكمال، ففي مجيئِها تقريرٌ لمعنى المبالغة في الوصفين.

فائدةُ التَّعبير بصيغة المبالغة:

جاء الوصفان الجليلان: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ بصيغة المبالغة للإيذانِ بأنَّ اللّه تعالى له كمالُ العزَّة والحكمةِ، وأنَّه هو المتَّصف بهما على الحقيقةِ؛ لثبوتِ الوصف وكمالِه، مع انتفاءِ اتِّصافِ أحدٍ بهما على التَّحقيق الحقيق بالحقِّ ﷻ.

لا يوصف بالعزيز الحكيم على التَّحقيق الحقيق بالحقِّ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 268.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 493.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 153، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 493.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»